الأنباء
الاثنين 12 ديسمبر 2011

«هناك العديد من الأزواج والزوجات الذين يجتهدون لإنجاح زواجهم، وفي المقابل لا يجدون التقدير من شريك حياتهم، والسبب أنهم لم يتحركوا بذكاء وبطريقة صحيحة» هذا ما أكده الباحث في الشؤون الأسرية الحارث المزيدي.

«الأنباء» التقت المزيدي للحديث عن أكثر الأعمال إيجابية وتأثيرا على الزوجين في حياتهما الزوجية، والمستخلصة من استفتاء لـ 150 زوجا وزوجة، حيث أوضح أن الزوج يحب في زوجته رعايتها للبيت والأولاد وتقدير والديه وكتم أسرارهما الزوجية، بينما الزوجة تحب الزوج الذي يحترمها ويبادلها المشاعر ويوفر حاجيات البيت سريعا دون تسويف، وأضاف: إن هناك كلمات تقولها بعض النساء وتتساهل في التلفظ بها حيث أنها من كفران العشير، وفيما يلي تفاصيل اللقاء:

إعداد: م. ضاري محسن المطيري

أجرى استفتاء لـ 150 زوجاً وزوجة لمعرفة أعظم ما يريده كل منهما من الآخر

المزيدي لـ «الأنباء»: بالحب لا بالشجار تغيّر الزوجة أخلاق وطباع شريك حياتها

ما الأعمال التي إن قام بها الزوج لزوجته لم تنس فضله؟

● هذا السؤال تم طرحه على 100 زوج و50 زوجة، وحصلت على العديد من التجارب المفيدة والجديدة، والتي سأنقلها لكم، ولنبدأ مع الأزواج وما هو المعروف الذي لا ينسونه من زوجاتهم.

الجميل في الموضوع هو أن إجابات الأزواج كلها اجتمعت على 5 أمور، والمثير هو أنكم ستعرفون ماذا تستفيده الزوجة إن كان لها فضل واضح على زوجها.

رعاية البيت الزوجي

الأمر الأول: تحدث فيه الأزواج عن رعاية الزوجة للبيت، كعملها في البيت، ورعايتها للأولاد، وتدريسهم، ودعوني أطلعكم على بعض هذه الإجابات.

يقول أحد الأزواج «زوجتي ملاك، زوجتي حامل وعندها دسك في رقبتها وظهرها، وتدرس الأولاد، وتجهز مأكلي، وتعتني بالمنزل الكبير رغم عدم وجود خادمة تساعدها، بالله عليكم لو أعطيها عيوني لا تكفي حقها» وزوج آخر يقول «رعاية أبنائي وتدريسهم وحفظها لبيتي ولمدة 15 سنة، والنتيجة أنها إذا أغضبتني لا تدعني أنام الا ونحن متصافان متحابان».

وهنا وقفة يجب التنبه إليها وهي أن رعاية المرأة لبيتها ولأبنائها بالإضافة إلى أنه يكسبها الأجر ثم قلب الزوج فإنه من مسؤوليات الزوجة أصلا، ففي الحديث النبوي في صحيح البخاري «والرجل في أهله راع وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية، وهي مسؤولة عن رعيتها».

رعاية والدي الزوج

وما الأمور الأخرى التي يحبها الزوج في زوجته؟

الحارث المزيدي

الزوج يحب في زوجته رعايتها للبيت والأولاد وتقدير والديه وكتم أسرارهما الزوجية

الزوجة تحب الزوج الذي يحترمها ويبادلها المشاعر ويوفر حاجيات البيت دون تسويف

● الأمر الثاني الذي لا ينساه الأزواج هو رعاية الزوجة لوالدي الزوج واحترامهما، ولنقرأ بعض كلام الأزواج، يقول الزوج «من حبها لي تهتم بوالدتي بشكل غير طبيعي، وتحبها أكثر من والدتها مما يزيد ويرفع قدرها عندي»، ويقول زوج آخر «لا انسى إحسانها لأهلي وتحمل انتقاداتهم مهما كانت»، ويقول زوج ثالث «منظر عطفها على والدتي وعيال إخواني منظر يخجلني منها كثيرا».

وهنا وقفة، فهذه التصرفات من الزوجات تدل على حسن خلقهن وذكائهن الثاقب، لأن من الأمور المهمة في الحياة الزوجية هو مد الجسور الطيبة بين الزوجة وأهل الزوج، لأننا كثيرا ما نسمع بالمشاكل والطلاقات بسبب تدخل الأهل السلبي بين الزوجين، والحل هو «مد الجسور الطيبة معهم يقل تدخلهم»، حتى إن تدخلوا صار تدخلهم ايجابيا.

حثه على الطاعة

الأمر الثالث الذي لا ينساه الأزواج من زوجاتهم هو «حث الزوجة لزوجها على طاعة الله»، وبشكل خاص على الصلاة، وبشكل أخص صلاة الفجر، فالعديد من الأزواج شعروا بفضل زوجاتهن عليهم بسبب إيقاظهم بالحسنى للصلاة، ولننظر كيف عبر الأزواج عن شعورهم هذا، يقول الزوج «زوجتي توقظني لصلاة الفجر من أول ما تزوجنا إلى الآن، ولمدة 5 سنوات، وهذا فضل لا أنساه»، ويقول زوج آخر «لا أنسى حرصها عندما تصلي وتحثني على الصلاة في المسجد»، ويقول زوج ثالث «ما رزقت منها بأبناء، ولكن تذكيرها الدائم لي بالصلاة، واهتمامها بوالدتي يشعرني بفضلها».

وهاهنا وقفة أخرى، وهي أن هذا الخلق من الزوجة، وهو حث الزوج على طاعة الله قد ذكره الحديث الشريف كميزة في الزوجة الصالحة، كما قال النبي ﷺ «من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة والمسكن الصالح والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم المرأة السوء والمسكن السوء والمركب السوء»، وحديث نبوي صحيح آخر في سنن ابن ماجه يقول «ليتخذ أحدكم قلبا شاكرا، ولسانا ذاكرا، وزوجة مؤمنة، تعينه على أمر الآخرة».

الاحترام

الأمر الرابع الذي يذكره الزوج ولا ينساه هو «معاملة الزوجة لزوجها باحترام ورقي ورومانسية»، يقول أحد الأزواج «كانت زوجتي تخطئ أحيانا بغير قصد فأغضب عليها، فكانت تمسك يدي وتقول والله لا أنام حتى ترضى علي»، ويقول زوج آخر «تعمل على امتصاص غضبي وتهدئتي، ولولاها لكنت سريع الغضب، وبفضلها أصبحت أتحكم بأعصابي»، ويقول زوج ثالث «لما أشوفها تبتسم ابتسامتها الحلوة في مواقف صعبة تمر علينا، وتقول لي «عادي يالغالي وأبشر بالخير»، خاصة أني مشغول جدا، فولدي مريض ونامت زوجتي معه بالمستشفى 60 يوما، وكل مرة أدخل عليها المستشفى أرى قمة النظافة والابتسامة، واشعر حينها بالنعمة فلا أفكر أبدا بالزواج عليها».

كتم الأسرار

الأمر الخامس الذي يتذكره الأزواج ولا ينسونه هو «كتم أسرار البيت على الدوام»، يقول الزوج «ما أحبه في زوجتي هو تغطية عيوبي وإظهاري بصورة حسنة أمام الآخرين»، ويقول زوج آخر «إنها تحافظ على أسرار بيتها حتى مع أمها، ولا تقول إلا إننا بأحسن حال وبخير، رغم أننا نكون بخلاف، أحس أن لها بذلك فضلا علي».

وهاهنا وقفة، حفظ أسرار البيت، وهو كل ما يحصل بين الزوجين من أمور المعاشرة أو الخلافات فكتمها واجب، ومع ذلك اعتبره العديد من الأزواج فضلا من الزوجة، هذا يعني أنك بقيامك بواجباتك يجعلك ذلك في قلب زوجك امرأة مميزة وصاحبة فضل.

التكاليف المادية

لنأت الآن لدور النساء، ما الأمر الذي إن قام به الزوج شعرت الزوجة بأن له فضلا عظيما عليها؟

● المثير أن أغلب الإجابات المعروضة اتفقت على أمرين، الأول: هو توفير حاجيات البيت، من غير تسويف، والأمر الثاني هو «احترام الزوجة واحتواؤها»، ولنقرأ بعض كلام هؤلاء الزوجات.

تقول إحداهن «له فضل علي في تلبية طلباتي واحتياجاتي، والأهم لما يحتويني بمشاعره الطيبة»، وتقول زوجة أخرى «الأمور المادية رقم واحد، ثم الاحتواء للمشاكل التي أسويها، وتنفيذ طلبي مباشرة يعني بدون تسويف»، وتقول زوجة ثالثة «زوجي يصرف علي من غير محاسبة، ومن غير ما يقول أنا دفعت وصرفت كذا وكذا، ولا ينظر لقيمة المبلغ، وأحب أن يحسسني بقيمتي عنده، مو سايلنت (silent) مشاعره يحتفظ بها لنفسه».

من المناسب أيضا أن تذكر لنا بعض الأحاديث الواردة في فضل الزوج على زوجته؟

● قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها» صحيح ابن ماجة، وفي رواية: «من عظم حقه عليها» صحيح الترغيب.

حديث آخر ربط طاعة الزوج بأمر عميق ودقيق وهو حلاوة الايمان، وحلاوة الايمان هو - شعور معنوي - يشعر المسلم بلذة الطاعة كما ذكر النووي في شرح مسلم، ربط الشرع وصول المرأة بحلاوة الايمان بأداء حق الزوج، عن معاذ بن جبل قال رسول الله ﷺ: «ولا تجد امرأة حلاوة الايمان، حتى تؤدي حق زوجها»، صحيح الترغيب.

وماذا عن حق الزوجة على الزوج؟

● هناك ايضا نصوص نبوية تبين حق الزوجة، منها ما رواه ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال «اني احرج عليكم حق الضعيفين: اليتيم، والمرأة» صحيح الجامع.

ومعناه اني احرج يعني اشد، معنى كلام النبي، انا اشدد على الرجال في ان يؤدوا حق زوجاتهم عليهم وألا يتركوه او يتهاونوا فيه.

وقال رسول الله ﷺ: «اتقوا الله في النساء، فانكم اخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله» صحيح مسلم، وهذا الحديث يدل على ان حق الزوجة مهم وأن الزوج يأثم ان قصر في حقها.

ما صور انكار الزوجة لحق الزوج؟

● اولا كلمات تقولها بعض النساء وتتساهل بالتلفظ بها، وهي كلمة:

ما شفت منك شيء؟ انت شنو سويت لي؟ انا شنو حصلت منك؟ ومن هذه الكلمات التي تدل على انكار فضل الزوج وجهده، ولذلك شدد الشرع في منعها، ففي الحديث الشريف: «يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار، فاني رأيتكن اكثر اهل النار، فقالت امرأة منهن، جزلة: وما لنا يا رسول الله اكثر اهل النار، قال: تكثرن اللعن، وتكفرن العشير» متفق عليه.

ماذا يعني: «تكفرن العشير»؟

● النبي ﷺ فسره في حديث آخر: فقال «لو احسنت الى احداهن الدهر، ثم رأت منك شيئا، قالت: ما رأيت منك خيرا قط» صحيح البخاري.

فعلى المرأة الابتعاد عن هذه الكلمات التي تؤثر على الزوج وعطائه المستقبلي وعلى الزوج ان يستوعب طبيعة المرأة التي تهدر حسنات الزوج كلها عند تضايقها وبالتأكيد هي لا تقصد ذلك.

وثانيا: انكار الفضل يكون بسوء العشرة المستمر من الزوجة مقابل ما يقوم به الزوج من احسان.

هل تنصح ان يتحدث الزوج احيانا بفضل زوجته عليه ويعلنه عندها وعند غيرها؟

● نعم، لا شك في اهمية التحدث بفضل الزوجة وشكرها ان احسنت، فهذا مشجع لها للاستمرار، وهو اقل ما يقدم كي تشعر الزوجة بان عملها لا يذهب سدى.

النبي ﷺ كان يذكر احيانا افضال زوجاته حتى عند الآخرين تقول عائشة رضي الله عنها: «ما غرت على احد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة، وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة، ثم يقطعها اعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة، فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة الا خديجة، فيقول: «انها كانت، وكانت، وكان لي منها ولد» صحيح البخاري.

وقد ورد تفسير كلمة «كانت وكانت» في احاديث اخرى، منها: ما ابدلني الله خيرا منها قد آمنت بي اذ كفر بي الناس وصدقتني اذ كذبني الناس وواستني بمالها اذ حرمني الناس ورزقني الله اولادها اذ حرمني اولاد النساء» حسنه الشوكاني وابن كثير.

تغيير طباع الأزواج

لكن كيف يمكن للزوجات أن تغير ازواجهن؟

● هناك من الزوجات من جعلت زوجها الذي لا يصلي مصليا الآن، وكان سريع الغضب فأصبح حليما، ان اردتم ان تتعرفوا على السبب والوسيلة فهي «بالحب لا بالشجار تغير شريك حياتك».

الزواج الذكي

هل من كلمة في ختام اللقاء ووصية اخيرة تقدمها للزوجين؟

● أنبه على قضية مهمة، وهي ان العديد من الازواج والزوجات يجتهد ويتعب لانجاح زواجه ولكن لا يجد التقدير من شريك حياته، والسبب انه لم يتحرك بذكاء وبطريقة صحيحة، فليتنبه للطرق الذكية في هذا الشأن، وان كان القارئ الكريم يريد المزيد عن هذا الموضوع، فسأناقشه بتوسع اكثر، في مقالات جديدة على موقعي الالكتروني المقبل باسم «الزواج الذكي»، على الرابط التالي: www.smart_zawaj.com

الخثلان: نصوص القرآن والسنة بلغت حد التواتر في مشروعية المسح على الخفين

صور التيسير في الشريعة الإسلامية كثيرة، ومنها مشروعية المسح على الخفين بدلا من غسل القدمين في الوضوء بشروط ذكرها أهل العلم، والتي يحتاج المسلم التفقه فيها خاصة في مواسم الأسفار وفصل الشتاء، الأستاذ في قسم الفقه بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية د.سعد بن تركي الخثلان يعرض في البحث التالي أهم المسائل المتعلقة بالمسح على الخفين.

تعريف الخف والجورب

الخفان: تثنية خف وهما: ما يلبس على الرجلين من جلد، بحيث يكون سائرا للقدمين والكعبين.

والجوربان: ما يلبس على الرجلين على هيئة الخف من غير الجلد (وهو ما يسمى عند العامة الآن بالشراب).

فظهر بهذا أن الفرق بين الخف والجورب هو: أن الخف يكون من الجلد، والجورب يكون من غير الجلد، وأما الجرموق فهو ما يلبس فوق الخف وقاية له من الماء ونحوه، ويسمى: الموق، قال البهوتي رحمه الله: «الجرموق ويسمى الموق: هو خف قصير».

حكم المسح على الخف والجورب

وقد جاءت النصوص متضافرة في الدلالة على مشروعية المسح على الخفين، حتى أنها بلغت حد التواتر، فمن القرآن قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)، وقرأ ابن كثير وأبو عمر وحمزة (وأرجلكم) بكسر اللام، واستدل بها كثير من العلماء على مشروعية المسح على الخفين.

قال القرطبي رحمه الله: «قيل: إن الخفض في الرجلين إنما جاء مقيدا لمسحهما، لكن إذا كان عليهما خفان، وتلقينا هذا القيد من رسول الله ﷺ، إذ لم يصح عنه أنه مسح رجليه إلا وعليهما خفان، فبين ﷺ بفعله الحال التي تغسل فيها الرجل والحال التي تمسح فيها، وهذا حسن».

ومن السنة: وردت أحاديث كثيرة من قول النبي ﷺ وفعله تدل على مشروعية المسح على الخفين، وسبق أن أشرنا إلى أنها قد بلغت حد التواتر، وفي هذا يقول الناظم:

مما تواتر حديث من كذب
ومن بنى لله بيتا واحتسب
ورؤية شفاعة والحوض
ومسح خفين وهذي بعض

قال الإمام أحمد رحمه الله: «ليس في قلبي من المسح شيء، فيه أربعون حديثا عن النبي ﷺ».

أي: ليس في قلبي أدنى شك بالجواز.

وقال الحسن: «حدثني سبعون من أصحاب النبي ﷺ أنه ﷺ مسح على الخفين».

ويشرع المسح على الجوربين قياسا على الخفين، وقد جاء في حديث المغيرة رضي الله عنه: «أن رسول الله ﷺ توضأ ومسح على الجوربين والنعلين». (أخرجه الخمسة، وفي سنده مقال).

لكن جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ سرية فأصابهم البرد، فلما قدموا على النبي ﷺ شكوا إليه ما أصابهم من البرد، فأمرهم أن يمسحوا على العصائب والتساخين». (أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم بسند صحيح).

● والعصائب: هي العمائم.

● والتساخين: كل ما يسخن به القدم من خف وجورب وغيرهما.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «يجوز المسح على الجوربين، ففي السنن أن النبي ﷺ (مسح على جوربيه ونعليه)، وهذا الحديث إذا لم يثبت فالقياس يقتضي ذلك، فإن الفرق بين الجوربين والخفين إنما كون هذا من صوف، وهذا من جلد، ومعلوم أن مثل هذا الفرق غير مؤثر في الشريعة، فلا فرق بين أن يكون جلدا أو قطنا أو كتانا أو صوفا».

وأيهما أفضل: غسل الرجلين أو المسح عليهما إذا كان فوقهما خفان أو جوربان؟!

قال بعض الفقهاء: الغسل أفضل، وهو مذهب الحنفية والمالكية والشافعية.

وقال آخرون: بل المسح أفضل، وهو من مفردات مذهب الحنابلة.

وفصل بعض العلماء فقالوا: الأفضل في حق كل واحد بحسبه، فمن كان عليه الخف كان الأفضل في حقه المسح، ومن كان لا خف عليه فالأفضل في حقه الغسل، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، وهذا القول الأخير هو الأظهر في هذا المسألة. والله تعالى أعلم.

قال ابن القيم رحمه الله: «لم يكن ﷺ يتكلف ضد حاله التي عليها قدماه، بل إن كانتا في الخف مسح عليهما ولم ينزعهما، وإن كانتا مكشوفتين غسل القدمين ولم يلبس الخف ليمسح عليه، وهذا أعدل الأقوال في هذه المسألة قاله شيخنا يريد شيخ الإسلام ابن تيمية».

مدة المسح

ومدة المسح على الخفين: يوم وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليهن للمسافر، ويدل لذلك ما جاء في صحيح مسلم عن علي رضي الله عنه قال: «جعل رسول الله ﷺ ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر ويوما وليلة للمقيم».

ولكن من أين تبدأ مدة المسح؟، اختلف الفقهاء في ذلك، فقال بعضهم: تبدأ من أول حدث بعد لبس الخف، وهذا هو مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، وقال آخرون: تبدأ من أول مسح بعد الحدث، وهو رواية عن أحمد.

وهذا القول الأخير هو الأقرب، وهو الذي عليه أكثر المحققين من أهل العلم، وذلك لأن الأحاديث الواردة في المسح على الخفين إنما جاءت بلفظ المسح كما في حديث خزيمة بن ثابت رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يمسح المسافر على الخفين ثلاث ليال والمقيم يوما وليلة». (أخرجه الترمذي وغيره) وهو صحيح بشواهده.

فهذا الحديث وما جاء في معناه إنما أتت بلفظ (المسح) لا بلفظ (الحدث) بل جميع أحاديث المسح على الخفين ليس للحدث ذكر في شيء منها.

ثم إن النبي ﷺ رخص للمقيم أن يمسح يوما وليلة، ولو قلنا إن ابتداء المدة من الحدث لكان المسح أقل من يوم وليلة، فيكون خلاف الحديث.

وبناء على ما سبق فالقول الراجح في هذه المسألة: أن مدة المسح على الخفين تبتدئ من أول مسح بعد الحدث، وقد وقتها النبي ﷺ للمقيم يوما وليلة، أي: أربعا وعشرين ساعة، وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن، أي: ثنتين وسبعين ساعة.

وأما قول بعض العامة إن المدة بالنسبة للمقيم خمس صلوات فهذا غير صحيح، لأن الإنسان قد يصلي بهما في المدة أكثر من ذلك، كما لو لبس الخفين لصلاة الظهر وبقي على طهارته إلى أن صلى العشاء، فهذه المدة من الظهر إلى العصر لا تحسب عليه، فإذا مسح لصلاة الفجر ابتدأت المدة إلى صلاة الفجر من اليوم الثاني فهنا قد صلى بالخفين أكثر من خمس صلوات.

مثال آخر: توضأ رجل لصلاة العصر ولبس الجوربين وبقي على طهارته إلى صلاة العشاء، ثم وقع منه الحدث ولم يتوضأ إلا عند صلاة الفجر، فمعنى ذلك أن مدة المسح تبتدئ من صلاة الفجر، فيحسب منها يوما وليلة، أي: أربعا وعشرين ساعة. أي: أنه يمسح على الجوربين الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء، لكن لو أنه في المثال السابق لما توضأ لصلاة العصر بقي على طهارته إلى صلاة العشاء ثم أحدث بعدها ثم توضأ قبل أن ينام، فإن السنة ألا ينام المسلم إلا متوضئا، فإن المدة تبتدئ من تلك اللحظة التي توضأ فيها.

شروط المسح

ثالثا: شروط المسح على الخفين:

الشرط الأول: أن يكون الإنسان حال لبسهما على طهارة من الحدث وهذا الشرط متفق عليه بين العلماء.

قال الموفق بن قدامة رحمه الله: «لا نعلم خلافا في اشتراط تقدم الطهارة لكل ما يجوز المسح عليه إلا الجبيرة، ووجهه ما روى المغيرة بن شعبة قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأهويت لأنزع خفيه فقال: (دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين فمسح عليهما) متفق عليه» اهـ.

ولكن إذا توضأ وغسل رجله اليمنى ثم أدخلها في الخف أو الجورب، ثم غسل رجله اليسرى ثم أدخلها في الخف أو الجورب فطهارته صحيحة، لكن:

إذا أحدث هل يمسح على خفيه أم لا؟!

اختلف الفقهاء في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: ليس له أن يمسح على خفيه، وهو مذهب جمهور الفقهاء من المالكية والشافعية والحنابلة.

القول الثاني: أن له أن يمسح في هذه الحال. وهو مذهب الحنفية.

واستدل الجمهور لقولهم بأنه ليس له أن يمسح بحديث المغيرة بن شعبة السابق ذكره، ومحل الشاهد منه قوله: «دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين».

ولا يكون الإنسان طاهرا إلا إذا أتم الطهارة بغسل رجله اليسرى، ولذلك ليس له أن يصلي إذا بقيت رجله اليسرى لم يغسلها، لكونه لا يصدق عليه أنه طاهر، ولذلك إذا توضأ وغسل رجله اليمنى ثم أدخلها في الخف أو الجورب ثم غسل رجله اليسرى ثم أدخلها في الخف أو الجورب فلا يصدق عليه أنه أدخلهما طاهرتين.

أما أصحاب القول الثاني، وهم الحنفية، القائلون بأن له أن يمسح في هذه الحال فيقولون: إن الإنسان إذا غسل رجله اليمنى ثم أدخلها الخف يصدق عليه أنه أدخلها الخف وهي طاهرة، ثم إذا غسل رجله اليسرى في ساعته ثم ألبسها الخف فقد أدخلها وهي طاهرة، فصدق على من هذه صفته أنه أدخل رجليه الخفين وهما طاهرتان.

قالوا: ومما يدل على ذلك أنه لو غسل رجله اليمنى ثم أدخلها الخف، ثم غسل اليسرى فأدخلها الخف لم يلزمه - على قول الجمهور - إلا أن ينزع اليمنى مرة أخرى، ثم يلبسها حتى يصدق عليه أنه لبسها بعد كمال الطهارة.

قالوا: وهذا عبث ينزه الشارع عن الأمر به، ولا مصلحة للمكلف في القيام به.

وقد اختار هذا القول الأخير - وهو أن له أن يمسح في هذه الحال - شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم رحمهما الله تعالى.

وهذا القول متجه، والخلاف في هذه المسألة قوي.

والأحوط هو قول الجمهور: وهو أنه ليس له أن يمسح إلا إذا لبس خفيه بعد كمال الطهارة. والله تعالى أعلم.

الشرط الثاني: أن يكون الخف ونحوه ساترا للرجل، فلا يمسح عليه إذا لم يكن ضافيا مغطيا لما يجب غسله، بأن كان نازلا عن الكعب، أو كان ضافيا لكنه لا يستر الرجل لصفائه أو خفته، كجورب غير صفيق، فلا يصح المسح عليه لعدم ستره.

ومما يدل على هذا الشرط حديث ثوبان رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية فأصابهم البرد، فلما قدموا على النبي ﷺ شكوا إليه ما أصابهم من البرد، فأمرهم بأن يمسحوا على العصائب والتساخين». (أخرجه أبو داود وأحمد والحاكم بسند صحيح).

● والعصائب: هي العمائم.

● والتساخين: هي كل ما يسخن به القدم من خف وجورب ونحوهما.

والخفاف والجوارب الخفيفة التي تصف لون البشرة ليست مما يسخن به القدم، ولهذا نقول: إنه يوجد في الأسواق في الوقت الحاضر جوارب رقيقة جدا بحيث يرى من ورائها لون البشرة، ولا تقي من برد، وإنما تلبس للزينة، فهذه الجوارب لا يصح المسح عليها، ومن لبسها من رجل أو امرأة فعليه عند الوضوء خلعهما وغسل رجليه بالماء.

أما بالنسبة للخروق التي تكون في الخفاف والجوارب فقد اختلف العلماء في تأثيرها على صحة المسح:

فقال بعض الفقهاء: لا يصح المسح على الخف المخرق مطلقا، وهذا القول هو الجديد من مذهب الشافعية، والمشهور من مذهب الحنابلة.

وقيل: يمسح عليه مطلقا ما أمكن المشي فيه، وهو قول سفيان الثوري، وإسحاق، وابن المبارك، وابن عيينة، واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقال بعض الفقهاء: لا يصح المسح على الخف المخرق، إذا كان الخرق يسيرا، ولا يصح إذا كان الخرق كبيرا، وهو مذهب الحنفية والمالكية.

واستدل القائلون بأنه لا يصح المسح على الخف المخرق بقول الله تعالى: (فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين)، قالوا: مطلق الآية يوجب غسل الرجلين، إلا ما استثناه الدليل من المسح على خفين صحيحين، ولأن حكم ما ظهر: الغسل، وحكم ما استتر المسح، فإذا اجتمعا - كما في الخف المخرق - غلب جانب الغسل ولم يصح المسح، كما لو ظهرت إحدى الرجلين.

أما القائلون بجواز المسح على الخف المخرق مطلقا فاستدلوا بأن معظم الصحابة فقراء، وخفافهم لا تخلو من فتوق أو خروق، ولو كان الفتق أو الخرق مؤثرا لبين ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لهم، خاصة أن الأمر متعلق بالصلاة التي هي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أصحاب النبي ﷺ الذين بلغوا سنته وعملوا بها لم ينقل عن أحد منهم تقييد الخف بشيء من القيود، بل أطلقوا المسح على الخفين مع علمهم بالخفاف وأحوالها، فعلم أنهم كانوا قد فهموا عن نبيهم جواز المسح على الخفين مطلقا، وأيضا فكثير من خفاف الناس لا يخلو من فتق أو خرق يظهر منه بعض القدم، فلو لم يجز المسح عليها بطل مقصود الرخصة». اهـ.

وأما القائلون بالتفريق بين الخرق واليسير والكبير فقالوا: إن الشارع يتسامح في العفو عن انكشاف يسير العورة، وعن يسير النجاسة التي يشق الاحتراز منها كما في أثر الاستجمار بعد الإنقاء، فالخرق اليسير في الخف من باب أولى.

هذه أقوال الفقهاء وأدلتهم في هذه المسألة، والقول الأخير بالتفريق بين الخرق اليسير والكبير قول وسط بين القولين، ولعله الأقرب في هذه المسألة، والله تعالى أعلم.

د.سعد بن تركي الخثلان

مدة المسح على الخفين تبتدئ من اول مسح بعد الحدث للمقيم يوماً وليلة «24 ساعة».. وللمسافر ثلاثة أيام بلياليهن «72 ساعة» ويشترط في المسح على الخفين لبسهما على طهارة والراجح جواز المسح على الجورب المخرق خرقاً يسيراً